جامعة القاهرة
فرع الفيوم
كلية الدراسات العربية والإسلامية

خصائص الواو التركيبية

أعداد
د/أحمد محمد عبد الراضي

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخـــل

نتنـاول فـى هـذا البحـث ـ الـواو فـى سـياقها الـتركيبى ، أى : دلالتها فـى إطـار الجملـة.

والـواو ـ كبـاقى الأدوات التـى تفيـد دلالات معينـة لا فـى ذاتهـا ، ولكـن فـى سياق الـتركيب اللغـوى ، وذلـك كـأدوات النفـى ، والاسـتفهام ، والشـرط ، والعطـف ، والتمنـى "وهـذا الضـرب مـن الوحـدات يشـبه العلامـات فـى أنـه ليـس بـذى دلالـة ذاتيـة ، فـإذا فصـل عـن السـياق ـ انعدمـت دلالتـه ، وهـذا يعنـى أنـه ذو دلالـة تركيبيـة[1] والـواو مـن الحـروف الهوامـل لأنهـا تدخـل علـى الاسـم والفعـل جميعـا ، ولا تختـص بأحدهمـا فـاقتضى ذلـك ألا تعمـل شـيئا لأنهـا ليسـت بـالعمل فـى الاسـم أحق منهـا بـالعمل فـى الفعـل.[2]

وفيمـا يلـى نتحـدث عـن الـدلالات التـى تفيدهـا الـواو فـى سـياق الجملـة العربيـة.

الواو العاطفة

تعـد الـواو مـن حـروف العطـف ، أو النسـق ، وتشـاركها فـى ذلـك ـ الفـاء ، و(ثـم) ، و(أو) ، و (بـل) ، و(لا) ، و(لكـن) ، و(حتـى) والعطـف "مـن عبـارات البصريـين . وهـو مصـدر عطفـت الشـىء علـى الشـىء ـ إذا أملتـه إليـه ، وسـمى هـذا البـاب عطفـا ، لأن الثـانى مثنـى إلـى الأول ومحمـول عليـه فـى إعرابـه.

والنسق من عبارات الكوفيين ، وهو من قولهم : (ثغرنسق) إذا كانت أسنانه مستوية ، (وكلام نسق) : إذا كان على نظام واحد"[٣]

والواو ـ أم باب حروف العطف ، لكثرة مجالها فيه ، وهى مشركة فى الإعراب والحكم[٤] ، وهى عند الجمهور ـ لمطلق الجمع كقولهم : (قام زيد وعمرو) فيحتمل أن يقوم كل واحد منهما قبل صاحبه ويحتمل أن يقوما معا فى وقت واحد ، ويدلك على ذلك قوله تعالى : "فكيف كان عذابى ونذر"[٥] فالنذر ـ قبل العذاب ، بدلالة قوله تعالى "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا[٦] وذهب قطرب ، وعلى ابن عيسى الربعى ـ إلى أنه يجوز أن تكون مرتبة ، نحو قوله تعالى : "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط"[٧] فهذا كلام مرتب.

ومن دلالتها على الترتيب أيضا ـ قوله تعالى : "وهو الذى كف أيدهم عنكم وأيديكم عنهم"[٨] فلو كف أيديهم قبل كف أيدى عدوهم ـ لكان فى ذلك محنة لهم ومشقة عليهم ، وهذا يؤيد مذهب الشافعى فى أن الواو يجوز أن ترتب[٩].

وعند بعض الحنفية أنها للمعية ، وقد عقب المرادى ـ على ما ذهب إليه الشافعية والأحناف ـ بقوله : "وقد زل الفريقان" ، إذ إن الواو ـ لا ترتب دائما ، ولا تجمع دائما ، وذهب ابن مالك ـ إلى أنها تحتمل المعية ـ برجحان ، ويحتمل المعطوف بها ـ التأخر ـ بكثرة والتقدم ـ بقلة ، وقيل : 'وهو مخالف فى ذلك لكلام سيبويه وغيره'.

وقال ابن كيسان : "لما احتملت هذه الوجوه ، ولم يكن فيها أكثر من جمع الأشياء ـ كان أغلب أحوالها أن يكون الكلام على

الجمع فى كل حال ـ حتى يكون فى الكلام ما يدل على التفرقة"[١٠] وما ذهب إليه ابن كيسان ـ هو أقرب الآراء ـ إلى طبيعة الواو ، فهى لمطلق الجمع فى أصل استعمالها ، ولا تحتمل المعية ، أوالترتيب ـ إلا لقرائن تصرفها إلى ذلك ، فقد تعطف المصاحب : كما فى قوله تعالى : "فأنجيناه وأصحاب السفينة"[١١] ، فدلالتها على المعية هنا ـ ليست من ذات الواو ، وإنما لقرينة ، وهى أن نوحا ـ عليه السلام ـ كان من بين أصحاب السفينة.

وقد تعطف اللاحق ـ على السابق : كما فى قوله تعالى : "ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم[١٢] ، فدلالتها على الترتيب هنا ـ ليست من ذات الواو أيضا ، وإنما لقرينة زمنية حيث إن نوحا ـ كان أسبق من إبراهيم ـ عليهما السلام وقد تعطف السابق ـ على اللاحق : كما فى قوله تعالى : "كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله".[١٣]

فإن الكاف فى : (إليك) ـ وقد خوطب بها رسول الله ـ ﷺ ـ هى المعطوف عليه ، وهو المتأخر فى الترتيب الزمنى.[١٤]

مما يدل على أن الواو لمطلق الجمع ـ الإ عند وجود قرينة فى الكلام تصرفها إلى الترتيب أو المصاحبة وإذا دلت على الترتيب لقرينة ـ جاز أن يكون بين متعاطفيها تقارب أو تراخ ، نحو قوله تعالى : "إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين".[١٥]

فإن رده إلى أمه ـ كان قبل إرساله بأربعين سنة.[١٦]

ما تنفرد به الواو العاطفة :

وتنفرد الواو ـ من بين حروف العطف ـ بأمور : أوصلها ابن هشام إلى خمسة عشر أمراً ، نذكرها فيما يلى : ـ

الأول : احتمالها للمعانى الثلاثة التى ذكرناها آنفا ، وهى أن تعطف المصاحب ، أو اللاحق على السابق ، أو السابق على اللاحق فهى لمطلق الجمع.

الثانى : اقترانها بـ (إمّا) ، نحو قوله تعالى : "إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا"[١٧]

الثالث : اقترانها بـ (لا) ـ بشرطين :

أحدهما : أن تسبق بنفى.

والآخر : ألا يقصد بها المعية.

وقد اجتمع الشرطان فى نحو قولهم : (ما قام زيد ولاعمرو فالفعل ـ منفى عنهما فى حالتى الاجتماع والافتراق.

ومنه قوله تعالى : "وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى".[١٨]

والمشهور ـ أن العطف حينئذ من عطف المفردات ، وقيل : من عطف الجمل ـ على إضمار العامل.

فإذا فقد أحد الشرطين ـ امتنع دخولها ؛ فلا يجوز : (قام زيد ولا عمرو) لأنها لم تسبق بنفى ؛ وأما قوله تعالى : "غير المغضوب عليهم ولا الضالين"[١٩] فإن فى (غير) ـ معنى النفى ، ولذلك جاز اقتران الواو بـ (لا).

كما يجوز دخولها أيضاً ـ إذا سبقت باستفهام يفيد النفى : كقول الشاعر :

فاذهب فأىّ فتى فى الناس أحرزه ∴ من حَتْفِه ظُلَمٌ دُعْجٌ ولا جبل[٢٠]

لأن المعنى : (لافتى).

كما لايجوز قولهم : (ما اختصم زيد ولا عمرو).

لأن الواو ـ هنا ـ للمعية لاغير.

وأما قوله تعالى : "وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات"[٢١] فإن (لا) ـ الثانية ، وهى : (ولا النور) ، والرابعة وهى : (ولا الحرور) ، والخامسة ، : (ولا الأموات) ـ صلات ، أى : فى غير القرآن زوائد ، لأمن اللبس.

الرابع : اقترانها بـ (لكن) ، نحو قوله تعالى : "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله".[٢٢]

قال الأخفش والفراء : أى : "ولكن كان رسول الله"[٢٣] واختلف النحاة فى كون الواو ـ هنا ـ زائدة ، أو عاطفة ، فذهب أكثر النحاة ـ إلى أن الواو ـ هى العاطفة.

أما (لكن) ـ فهى زائدة جىء بها ؛ لإفادة معنى الاستدراك فقط ، لأن (لكن) ـ عندهم ـ لا تكون عاطفة إلا عند تجردها من الواو.

وذهب بعضهم ـ إلى أن الواو ـ زائدة ، والعاطفة ـ هى (لكن) غير أن اقترانها ـ شرط للعطف بها ، وصحح هذا المذهب ابن عصفور.

وذهب ابن كيسان – إلى أن العطف بـ (لكن) ، واقترانها بالواو جائز ، لا واجب ، ولا ممتنع.[٢٤]

الخامس : عطف العِقد على النيِّف ، نحو قولهم : (أحد وعشرون).

السادس : عطف الصفات المفرقة – مع اجتماع منعوتها كقول الشاعر :

بكيت ، وما بكا رجل حزين ؟

على ربعين مسلوبٍ وبالى[٢٥]

السابع : عطف ما حقه التثنية ، أو الجمع ، كقول الفرزدق :

إن الرزية لا رزية مثلها

فقدان مثل محمد ومحمد [٢٦]

وكقول : أبى نواس :

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثا ∴ ويوماً له يومُ الترحل خامس

الثامن : عطف مالا يستغنى عنه ، نحو قولهم : (اختصم زيد وعمرو) ، و(اشترك زيد وعمرو) ، و(جلست بين زيد وعمرو) ، ولذلك كان الأصمعى يقول : الصواب فى بيت امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدَّخول وحوْمِل

لا (فحومل)

وقد خرجه بعض النحاة على واحد من أمرين : أحدهما – أن يكون التقدير : (بين نواحى الدَّخول).

والآخر : أن يكون الدَّخول مشتملاً على أماكن.

التاسع : عطف العام على الخاص ، نحو قوله تعالى : "رب اغفرلى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات"(٢٧)

العاشر : عطف الخاص على العام ، نحو قوله تعالى : "وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح"(٢٨)

ويشاركها فى عطف الخاص على العام ـ (حتى) : كقوليم : (مات الناس حتى الأنبياء).

الحادى عشر : عطف عامل حذف ، مع بقاء معموله ، سواء أكان هذا المعمول مرفوعاً ، أم منصوباً ، أم مجروراً.

فالمرفوع ـ نحو قوله تعالى : "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة"(٢٩)

أى : (وليسكن زوجك).

والمنصوب ـ نحو قوله تعالى : والذين تبوءوا الدار والإيمان"(٣٠)

أى : (وألفوا الإيمان) والمجرور ـ نحو قولهم : (ما كل بيضاء شحمة ولا سوداء تمرة) أى : (ولا كل سوداء) وإنما لم يجعل العطف ـ فى هذه التراكيب على الموجود دفعا لتوهم رفع فعل الأمر للاسم الظاهر ـ فى الآية الأولى ، ولتوهم أن يكون الإيمان متبوأ ـ فى الآية الثانية ، وإنما الذى يتبوأ هو المنزل ، ولتوهم عطف معمولين لعاملين مختلفين.(٣١) فى المثال المأثور.

الثانى عشر ـ عطف الشىء على مرادفه ؛ نحو قوله تعالى : "أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة"(٣٢) وقوله تعالى : "إنما

أشكو بثي وحزني إلى الله" [٣٣] ، وقوله تعالى : "لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا"[٣٤]

الثالث عشر : عطف المقدم على متبوعه للضرورة ، نحو قول الشاعر :

ألا يا نخلةً من ذات عرق .:. عليك ورحمة الله السلام[٣٥]

الرابع عشر : عطف المخفوض على الجوار ، نحو قوله تعالى : "وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين"[٣٦] ، على جر (أرجلكم) ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي وأبي بكر وأبي جعفر وخلف.[٣٧]

الخامس عشر : عطف الفرد السببي على أجنبي عند الاحتياج إلى الربط : كقولهم : (مررت برجل قائم زيدٌ وأخوه) ، ونحو : (زيدٌ قائمٌ عمروٌ وغلامُه).

فلولا عطف : (أخوه) ، (غلامُه) ـ على فاعل الوصف ـ لما تحقق الربط بين النعت السببي ومنعوته ـ في المثال الأول ، وبين الخبر ومبتدئه ـ في المثال الثاني.

ونحو قولهم في باب الاشتغال : (زيداً ضربتُ عمراً وأخاه)[٣٨] فلولا عطف (أخاه) ـ على معمول الفعل ـ لما تحقق الربط بين العامل ، والاسم المتقدم عليه.

حذف الواو العاطفة

أجاز بعضهم حذف الواو العاطفة من المفردات ، والجمل وقد تحذف كثيراً من الجمل : كما في قوله تعالى : "ولا على الذين

إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون"(٣٩)

أى : (وقلت) ، والجواب ـ (تولوا).

وكما فى قوله تعالى : "يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون"(٤٠)

أى : (يدبر الأمر ويفصل الآيات)(٤١)

ومن حذف الواو وحدها دون المعطوف بها ـ قول الرسول ـ ﷺ ـ : "تصدق رجل من دينارة من درهمه من صاع بُره من صاع تمره".

أى : (ومن درهمه ، ومن صاع بُره ، ومن صاع تمره) ومنه ما حكى عن بعضهم قوله : (أكلت سمكا ، لحماً ، تمرا) أى : (ولحماً وتمراً) وهنا ينبغى أن يسكت المتكلم بين المعطوفات سكتة لطيفة نيابةعن الواو المحذوفة.

ومنه قول الشاعر :

كيف أصبحت كيف امسيت مما ∴ يغرس الود فى فؤاد الكريم(٤٢)

أى : (وكيف أمسيت)(٤٣)

وقد أنكر بعض النحاة ـ حذف العاطف ومنهم السهيلى ـ واحتج بأن الحروف ـ أدلة على معان فى نفس المتكلم ، فلو أضمرت ـ لا حتاج المخاطب إلى وحى يسفر به عما فى نفس مكلمه ، وحكم حروف العطف فى هذا حكم حروف النفى والتوكيد والتمنى والترجى وغير ذلك ، اللهم إلا أن حروف الاستفهام قد يسوغ إضمارها فى بعض المواطن لأن للمستفهم هيئة تخالف هيئة المخبر.(٤٤)

ورد السهيلى ما استشهد به المجيزون ، وخرجه على عدم الحذف ، فذهب إلى أن قوله تعالى : "قلت لا أجد" ـ ليس على معنى الواو : كما توهموه ، ولكنه جواب (إذا) ، وأن قوله تعالى : "تولوا وأعينهم" إخبار عنهم وثناء عليهم ؛ لأنها نزلت فى قوم مخصوصين.(٤٥)

وأرى أن حذف الواو العاطفة ، لدلالة السياق عليها ـ جائز فى اللغة لشهادة النصوص القرآنية عليه ، فهو كثير شائع فى القرآن وغيره من شعر ونثر ، ومن ذلك قوله تعالى : "فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى"(٤٦) فالجواب : (قال هذا ربى) ، أما جملة : (رأى كوكبا) ـ فهى معطوفة على جملة : (جن عليه الليل).

ولا ينبغى أن يقاس حذف واو العطف ـ على حذف حروف النفى ، والتوكيد ، والتمنى ، والترجى ، وغيرها من الحروف ـ التى يتوقف غرض الكلام عليها ، لأن حذف الواو العاطفة ـ لا يضر ، بل تفهم الواو من تناسق الجمل ، أو الكلمات ، على حين يختل المعنى ـ عند حذف حرف النفى ، أو التوكيد ، أو التمنى أو الترجى.

حذف الواو مع معطوفها

أجاز النحاة أيضاً حذف الواو العاطفة مع المعطوف بها ـ إذا دل الكلام عليهما : كما فى قوله تعالى : "بيدك الخير إنك على كل شىء قدير"(٤٧)

أى : بيدك (الخير والشر) ، وفى قوله تعالى : "سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم".(٤٨)

أى : (تقيكم الحر والبرد).

وقولـه تعـالى : "وتلـك نعمـة تمنهـا علـيَّ أن عبـدت بنـى اسرائيل"[٤٩] أى : ولـم تعبدنـى.[٥٠]

ومن ذلـك قـول الشـاعر :

فما كان بين الخير لو جاء سالماً ∴ أبو حجر إلا ليال قلائل[٥١]

أى : (بين الخير وبينـى).

ومن كـلام العـرب : (راكـب الناقـة طليحـان) ، أى : (ضعيفـان) فكون الخبر ـ مثنى ـ مع إفراد المبتدأ ـ دليل على معطـوف محـذوف والتقدير : (راكب الناقة والناقة طليحان)[٥٢] وهنـاك وجـه آخـر ، وهـو أن يكـون الكـلام محمـولاً علـى حـذف المضـاف وإقامـة المضـاف إليـه مقامـه أى أن : راكب الناقة أحد طليحيـن.[٥٣]

والوجـه الأول وهـو علـى تقديـر حـذف المعطـوف ـ أولـى بـالقبول ، لوجـود نظـائر لـه فـى القـرآن الكريـم ، حيـث يكـثر حـذف المعطـوف بـالواو أو الفـاء ، لدلالـة السياق عليـه.

حذف المعطوف عليه بالواو

ومما تختص بـه الـواو ـ ويشـاركها فـى ذلـك الفـاء ، و (أم) ـ حـذف المعطـوف عليـه بهـا ـ إذا دل عليـه دليـل ومنـه قـول بعضهـم : (وبـك وأهـلاً وسـهلاً) ـ جوابـا لمـن قـال : (لـه مرحبـا بـك). فـالواو الأولـى لعطـف جميـع الكـلام علـى كـلام المتكلـم الأول ، والـواو الثانيـة عاطفـة علـى (مرحبـا) المقدرة ، فهـى لعطـف المفردات ، وهـى محـل الاستشـهاد والتقديـر : (ومرحبـا بـك وأهـلا) ، و(بـك) متعلـق بـ (مرحبـا) و (أهـلا) معطـوف علـى (مرحبـا)[٥٤] وجعـل الزمخشـرى ، ومـن تبعـه ـ مـن حـذف المعطـوف عليـه ـ مـا دخلـت عليـه همـزة الاسـتفهام : كقولـه تعـالى : "أو

لم يسيروا فى الأرض"[٥٥] وتشاركها الفاء : كقوله تعالى : "أفلم يسيروا فى الأرض[٥٦] ، وقوله تعالى : "أفنضرب عنكم الذكر صفحا"[٥٧] ، فهمزة الاستفهام ـ فى هذه الآيات ونحوها ـ ليست داخلة عند الزمخشرى على الواو أو الفاء ، وإنما هى داخلة ـ فى الحقيقة ـ على الجملة المعطوف عليها المحذوفة ، والتقدير عنده : (أمكثوا ولم يسيروا) ، (أمكثوا فلم يسيروا) ، (انهملكم فنضرب عنكم الذكر)[٥٨] وقد خالف الزمخشرى ـ فى ذلك ـ جمهور النحاة ، حيث يرون أن الهمزة ـ تختص من بين أدوات الاستفهام بأن لها الصدارة المطلقة فتتقدم حرف العطف ، ولا يتقدمها هو نحو : قوله تعالى : "أو لم ينظروا"[٥٩] " أفلم يسيروا" ، "أثم إذا ما وقع آمنتم به"[٦٠] أما أخواتها ـ فتتأخر عن حروف العطف : كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المعطوفة ، نحو قوله تعالى : "وكيف تكفرون"[٦١] ، "فأين تذهبون".[٦٢]

وقد أنكر ابن هشام ما ذهب إليه الزمخشرى وغيره ، وقال مدافعاً عن مذهب الجمهور : "هذا مذهب سيبويه والجمهور" ، ثم عقب على مذهب الزمخشرى بقوله "ويضعف قوله ما فيه من التكلف وأنه غير مطرد فى جميع المواضع"[٦٣].

مجيء الواو بمعنى (أو) :

ذكر ابن هشام ـ أن الواو ـ تستعمل بمعنى : أو ـ فى ثلاثة مواضع :

الأول : أن تكون بمعناها فى التقسيم : كقولك : (الكلمة ـ اسم ، وفعل وحرف).

وكقول الشاعر :

وننصر مولانا ونعلم أنـــه ∴ كما الناس مجروم عليه وجارم[٦٤]

فالمعنى : (اسم ، أو فعل ، أو حرف) ، (مجروم عليه أو جارم).

ويرى ابن هشام أن الصواب ـ أن تكون الواو هنا بمعناها الأصلى ، إذ الأنواع مجتمعة فى الدخول تحت الجنس ، ولو كانت (أو) ـ هى الأصل فى التقسيم ـ لكان استعمالها فيه أكثر من استعمال الواو.

الثانى : أن تكون بمعنى (أو) ـ فى الإباحة ، ومثل الزمخشرى لذلك ـ بقولهم : (جالس الحسن وابن سيرين) ، أى : أحدهما ، ولهذا قال الله ـ عز وجل : "تلك عشرة كاملة"[٦٥] بعد قوله تعالى : "فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم"[٦٦] وذلك لرفع إيهام أن تكون الواو بمعنى (أو).

الثالث : أن تكون بمعناها فى التخيير : كقول الشاعر :

وقالوا نأت فاختر لهاالصبر والبكا

فقلت البكا أشفى إذن لغليلى [٦٧]

فمعناه : (الصبر أو البكاء) ، إذ لا يجتمعان.

ثم يذكر ابن هشام احتمالاً آخر لمعنى البيت ، وهو : "فاختر من الصبر والبكاء" ، ثم حذف (من) : كما فى قوله تعالى : "واختار موسى قومه سبعين رجلاً"[٦٨] ، أى : (من قومه). ويؤيد هذا الاحتمال ـ أن أبا على القالى ـ روى البيت بـ (من)[٦٩].

واو الحال

وهناك واو ـ أطلق النحاة عليها ـ واو الحال ، لأنها تقترن بالجملة الواقعة حالاً ، سواء أكانت جملة اسمية أم فعلية ، وقد مثل لها الرمانى ـ بقولهم : (جئتك وزيد قائم) ، (لقيت عمراً وعبد الله منطلق) أى : فى هذه الحالة ، ثم استشهد على دلالة الواو للحال ـ بقوله تعالى : "يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم"(٧٠) فالواو ـ فى هذه التراكيب ونحوها دلت على أن الجملة بينت هيئة فى صاحبها ، بالإضافة إلى دورها فى الربط بين الجملة الحالية وصاحبها ، حيث تنقطع علاقة الجملة الحالية بصاحبها ـ عند حذف هذه الواو ، ولذلك يستدل الرمانى بما ذكر سيبويه من أن هذه الواو ـ إذا حذفت ـ صلح أن تحل محلها (إذ) ، فيقال : (جئتك إذ زيد قائم).

فلو وجد فى الجملة ضمير يربطها بصاحبها ـ لجاز حذف الواو اكتفاء بهذا الضمير ، فيقال : (جئتك وأبوك قائم) ، (جئتك أبوك قائم).(٧١)

ويعلل المرادى تقدير النحاة لها بـ (إذ) ، فيقول : "وقدرها النحويون بـ (إذ) من جهة أن الحال فى المعنى ـ ظرف للعامل فيها".(٧٢)

وقد يتعين اقتران جملة الحال بالواو ـ وذلك ـ إذا كانت الجملة خالية من الضمير ـ الذى يقوم بربطها كما ذكرنا ، وذلك ـ إذا كانت الجملة ـ اسمية ، والمبتدأ فيها ـ ضمير صاحب الحال ، قال عبد القاهر الجرجانى : "فإن كان المبتدأ فيها ـ ضمير صاحب الحال ـ لم يصلح بغير (الواو) ألبتة ، وذلك كقولك : (جاءنى زيد وهو

راكب) ، و(رأيت زيداً وهو جالس) ، و(دخلت عليه وهو يملى الحديث) ، و(انتهيت إلى الأمير وهو يعبىء الجيش).

فلو تركت الواو فى شىء من ذلك لم يصلح ، فإن قلت (جاءنى زيد هو راكب) ، و(دخلت عليه هو يملى الحديث) ـ لم يكن كلاماً.[٧٣]

كذلك ـ يجب اقتران جملة الحال ـ بالواو ـ إذا كان المبتدأ نكرة لا تتحصل بها الفائدة ـ إلا باقترانها بواو الحال قال ابن مالك : "فلو اقترن بالنكرة قرينة تتحصل بها الفائدة ـ جاز الابتداء بها ، ومن القرائن التى تتحصل بها الفائدة ـ الاعتماد على (إذا) المفاجأة وكذا الاعتماد على واو الحال ، كقولك : (انطلقت وسبع فى الطريق) و(أتيت فلانا ورجل يخاصمه) ومنه قوله تعالى : "وطائفة قد أهمتهم أنفسهم" ، ومنه قول عائشة ـ رضى الله عنها ـ : "دخل رسول الله ـ ﷺ ـ وبرمة على النار".

ومنه قول الشاعر :

سرينا ونجم قد أضاء فمذ بدا

محياك أخفى ضوءه كل شارق[٧٤]

فلولا الواو ـ الداخلة على النكرة ـ لما ساغ الابتداء بها لأنها حينئذ قد فقدت فائدتها بعدم ربطها بصاحبها التى تبين هيئته.

فقد قامت الواو بأداء شيئين فى آن واحد وهما ، ربط الجملة بصاحبها ، وإكساب النكرة فائدة يحسن معها الابتداء بها.

واو القسم

وقد تستعمل الواو ـ فى القسم ، فتدخل على المقسم به فتجره ، نحو قولك : (والله لأخرجنّ).

وذهب الرمانى ـ إلى أنها بدل من الباء فى قولك : (حلفت بالله لأخرجن).[٧٥]

وذكر المرادى ـ أن واو القسم ـ حرف ـ يجر الظاهر دون المضمر ، وأنها فرع الباء[٧٦] وقد عقد مقارنة بين الواو ـ التى هى فرع فى القسم ، والباء ـ التى هى أصل ، فذكر أن الباء ـ فضلت على سائر حروف القسم ـ بثلاثة أمور : أحدها ـ أن الباء لا يجب حذف الفعل معها ، بل يجوز إظهاره نحو : (أقسم بالله).

والثانى ـ أنها تدخل على المضمر ، نحو : (بك لافعلنّه) ، والثالث ـ أنها تستعمل فى الطلب وغيره ، بخلاف سائر حروفه ، فإن الفعل معها لا يظهر ، ولا تجر المضمر ولا تستعمل فى الطلب.

وزاد بعضهم رابعا ، وهو أن الباء تكون جارة فى القسم وغيره ، بخلاف واو القسم وتائه ؛ فإنهما لا يجران إلا فى القسم.[٧٧]

وذهب كثير من النحويين إلى أن الواو بدل من الباء ، قالوا : لأنها تشابهها مخرجا ومعنى ، واستدلوا على ذلك بأن المضمر لا تدخل عليه الواو ، لأن الإضمار يرد الأشياء إلى أصولها.[٧٨]

ويوضح ابن هشام ـ خصائص واو القسم ، فيقول : "ولا تدخل إلا على مظهر ، ولا تتعلق إلا بمحذوف ، نحو : قوله تعالى : "يس والقرآن الحكيم"[٧٩] ، فإن تلتها واو أخرى نحو : "والتين والزيتون"[٨٠] ، فالتالية واو العطف ، وإلا لاحتاج كل من الاسمين

إلى جواب"[٨١] وذكر ابن الشجرى ـ أن واو القسم ـ قد تنقلب إلى همزة ، فتجر لفظ الجلالة فى قولهم : (آللهِ لتفعلنّ) فأصله : (والله) محذوف الواو ، فأنابوا الهمزة عنها ، فأعملوها عملها.[٨٢]

وكذلك أنابوا حرف التنبيه عن : (الواو) ، فجروا بها فى قولهم : (لا ها لله ذا) ، يريدون : (لا والله ذا قسمى)[٨٣] وليس قلب واو القسم همزة ، أو هاء ـ بمطرد ، وإنما ذلك ظواهر لهجية يتوقف فيها عند السماع.

واو رب

يطلق النحاة ـ على الواو التى تقع النكرة مجرورة بعدها ـ فى غير القسم بأنها واو رب ، لأن هذا الاسم المجرور ـ يكون فى الحقيقة مجروراً بـ (رب) المحذوفة ، نحو قولهم : (ورجلٍ أكرمت) (وبلد دخلت) وكقول العامر بن الحارث :

وبلدٍ ليس بها أنيس ∴ إلا اليعافيرُ وإلا العيس

فالجمهور على أن الجر بـ (رب) المضمرة[٨٤].

وذهب المبرد والكوفيون ـ إلى أن الواو ـ حرف جار نيابة عن (رب) ، وأن الجر بها ـ لا بـ (رب) المحذوفة ، واستدل المبرد على ذلك بافتتاح القصائد بها : كقوله :

وقاتم الأعماق خاوى المخترق[٨٥]

وقد عقب المرادى ـ على ما ذهب إليه المبرد والكوفيون ـ بقوله :"والصحيح أن الجر بـ (رب) المحذوفة ، لا بالواو ، لأن الواو أسوة الفاء ، و(بل).[٨٦]

واو المعية

ومن دلالات الواو ـ فى الجملة ـ أنها تفيد المعية ، أو المصاحبة ، وقد عبر الرمانى عنها ـ بأنها جامعة غير عاطفة وذلك نحو قولهم : (استوى الماء والخشبةَ) ، أى (مع الخشبة) فحذفت (مع) ، وجىء بالواو ، فأوصلت الفعل إلى ما بعدها ، وهو الذى يسمى المفعول معه.(٨٧)

وقد اختلف النحاة فى ناصب ما بعد الواو ـ وهو المفعول معه ، فذهب الكوفيون ـ إلى أن الناصب ـ هو الخلاف ، أى : مخالفة ما بعد الواو لما قبلها.

وقد عقب المرادى على هذا بقوله : "وهو فاسد ؛ لأن الخلاف معنى ، والمعانى المجردة لم يثبت النصب بها".(٨٨)

وذهب الأخفش إلى أنه منتصب انتصاب (مع) ، أى : على الظرفية ، فلما حذفت (مع) ، وحلت محلها الواو ـ انتقل النصب منها ـ إلى ما بعدها ، وذلك لأن الأصل فى قولك : (سرت والنيل) : (سرت مع النيل) فلما جىء بالواو فى موضع (مع) ـ انتصب الاسم انتصاب (مع) ، والواو مهيئة لانتصاب هذا الاسم انصاب الظرف ونظير ذلك إعراب ما بعد (إلا) بإعراب (غير) ، إذاوقعت (إلا) صفة.(٨٩)

وقد عقب الرمانى ـ على ما ذهب إليه الأخفش ـ قوله : "والوجه ما أبدى به ـ يريد أن الاسم منصوب بما قبل الواو من فعل أو شبهه ـ لأن (مع) ـ ظرف ، و(زيد) وما يجرى مجراه "لايجوز أن يكون ظرفا".(٩٠)

وذهب الزجاج ـ إلى أن ناصبه مضمر بعد الواو ، من فعل أو شبهه ، تقديره فى : (ما صنعت وأباك) : (وتلابس أباك).

وقد ضعف المرادى ـ هذا المذهب أيضاً ، وقال : "وهو ضعيف ؛ لأن فيه إحالة لباب المفعول معه ، إذ المنصوب بـ (تلابس) مفعول به".(٩١)

وقد ضعفه المرادى أيضاً ـ بقوله : "وهو ضعيف" ، لأن الواو ـ لو كانت عاملة ـ لاتصل بها الضمير فى نحو "سرت وإياك" والصحيح أن المفعول معه منصوب بما قبل الواو ، من فعل أو شبهه بواسطة الواو.(٩٢)

وفى هذا ـ جمع بين ما قبل الواو من فعل أو شبهه ، والواو نفسها فى العمل ، وهو مذهب البصريين ، إذ لو كان العمل لما قبل الواو وحده دون الواو ـ لصح أن ينصب الاسم بعد حذف الواو فيقال (سرت النيل) ،وهذا غير شائع فى العربية ، فلابد حينئذ ـ أن يجعل العمل لمجموع الفعل أو شبهه والواو ، حيث لا يتحقق المعنى ـ إلا بهذه الواو مما جعل الجرجانى ـ يجعلها هى الناصبة.

ولعل فى رأى الجرجانى شيئاً من الوجاهة حيث وردت تراكيب شعرية ونثرية عن العرب نصب فيها الاسم بعد الواو دون أن تسبق بجملة مشتملة على فعل أو شبهه ، بل سبقت بجملة اسمية مشتملة على اسم استفهام : كقول الشاعر :

فما أنت والسير فى متلف

يُبَرِّح بالذَّكَد الضابط(٩٣)

وقالوا : (كيف أنت وقصعة من ثريد) فقول الجرجانى بأن الواو الدالة على المعية ـ هى الناصبة ـ ليشمل ما سبقت فيه الواو بجملة ذات فعل أو شبيه ، وما سبقت فيه بجملة خالية من ذلك مما دفع البصريين إلى تأويل هذه التراكيب بتقدير فعل مضمر ، فالأصل عندهم فى قول الشاعر : (فما تكون والسير) وفى القول المأثور : (كيف تكون وقصعة) فاسم (كان) ـ مستكن ، وخبرها ما تقدم عليها من اسم استفهام ، فلما حذف الفعل من اللفظ ـ انفصل الضمير.[٩٤]

والبحث عن العامل فى كل ظاهرة إعرابية ـ هو الذى أدى إلى اصطدام القاعدة بالنصوص الواردة عن العرب ويبدو أن هذا النصب ـ راجع إلى أن الاسم ـ واقع موقع الجملة الحالية إذ لا فرق بين واو المعية وواو الحال ـ من حيث الدلالة فكل منهما ـ يفيد مصاحبة ما بعد الواو لما قبلها فإذا قيل : (سافرت وطلوع الشمس) (سافرت والشمس طالعة) ـ فإن هاتين الجملتين ـ تعطيان مدلولا واحدا غير أن الاختلاف فى التركيب ، وهذا يجعلنا نعيد النظر فى المصطلح ـ الذى يطلق على الوظيفة ـ التى يشغلها هذا الاسم المفرد الواقع بعد واو المعية ، وهو المفعول معه ألا يمكن أن نطلق عليه شبيها بالحال : كما أطلق النحاة على ظرف المكان المنصوب المختص شبيهاً بالمفعول به ، نحو قولهم : (دخلت المسجد) وبذلك نتفادى ما وقع فيه النحاة من التخبط حول البحث عن علة النصب لهذا الاسم.

نصب المضارع بعد واو المعية

وأما الواو ـ التى ينتصب المضارع بعدها ـ فتكون فى موضعين :

وقالوا : (كيف أنت وقصعة من ثريد) فقول الجرجانى بأن الواو الدالة على المعية ـ هى الناصبة ـ ليشمل ما سبقت فيه الواو بجملة ذات فعل أو شبهه ، وما سبقت فيه بجملة خالية من ذلك مما دفع البصريين إلى تأويل هذه التراكيب بتقدير فعل مضمر ، فالأصل عندهم فى قول الشاعر : (فما تكون والسير) وفى القول المأثور : (كيف تكون وقصعة) فاسم (كان) ـ مستكن ، وخبرها ما تقدم عليها من اسم استفهام ، فلما حذف الفعل من اللفظ ـ انفصل الضمير.[٩٤]

والبحث عن العامل فى كل ظاهرة إعرابية ـ هو الذى أدى إلى اصطدام القاعدة بالنصوص الواردة عن العرب ويبدو أن هذا النصب ـ راجع إلى أن الاسم ـ واقع موقع الجملة الحالية إذ لا فرق بين واو المعية وواو الحال ـ من حيث الدلالة فكل منهما ـ يفيد مصاحبة ما بعد الواو لما قبلها فإذا قيل : (سافرت وطلوع الشمس) (سافرت والشمس طالعة) ـ فإن هاتين الجملتين ـ تعطيان مدلولا واحدا غير أن الاختلاف فى التركيب ، وهذا يجعلنا نعيد النظر فى المصطلح ـ الذى يطلق على الوظيفة ـ التى يشغلها هذا الاسم المفرد الواقع بعد واو المعية ، وهو المفعول معه ألا يمكن أن نطلق عليه شبيها بالحال : كما أطلق النحاة على ظرف المكان المنصوب المختص شبيهاً بالمفعول به ، نحو قولهم : (دخلت المسجد) وبذلك نتفادى ما وقع فيه النحاة من التخبط حول البحث عن علة النصب لهذا الاسم.

نصب المضارع بعد واو المعية

وأما الواو ـ التى ينتصب المضارع بعدها ـ فتكون فى موضعين :

الأول : فى الأجوبة الثمانية ـ وقد فصلتها كتب النحو ـ وهى النفى المحض ، والطلب المحض : وهو الأمر ، والنهى ، والدعاء والاستفهام ، والتمنى ، والعرض ، والتحضيض ، والترجى عند الكوفيين ، ومن ذلك ـ قول أبى الأسود الدؤلى :

لا تنهَ عن خلق وتأتَىَ مثلَه

عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ[٩٥]

ومنه قولهم : (لا تأكل السمك وتشربَ اللبن).

فإن أردت النهى عن الجمع بينهما ـ نصبت الفعل : (تشرب) وإن أردت النهى عنهما جميعاً ـ جزمت الفعل : (تشرب) على العطف [٩٦]

والثانى : أن يعطف بها الفعل على المصدر : كقول ميسون زوج معاوية :

لَلبسُ عباءة وتقرَّ عينى

أحبُّ إلىَّ من لبس الشفوف[٩٧]

وقد اختلف النحاة فى ناصب الفعل ، فذهب بعض الكوفيين إلى أن الواو فى ذلك هى الناصبة للفعل بنفسها ، وذهب بعضهم إلى أن الفعل منصوب بالمخالفة.

قال المرادى مرجحاً مذهب البصريين " "والصحيح أن الواو فى ذلك عاطفة ، والفعل منصوب بـ (أن) مضمرة بعد الواو ـ إلا أنها فى الأول عاطفة مصدراً مقدراً على مصدر متوهم ، وفى الثانى عاطفة مصدراً مقدراً على مصدر صريح وإضمار (أن) بعدها فى الأول ـ واجب ، وفى الثانى ـ جائز ".[٩٨]

والـواو ـ التـى تقـع فـى جـواب النفـى المحـض ، أو الطلـب المحـض ـ يسـمونها واو المعيـة ، ومـن شـواهدها فـى القـرآن الكريـم ـ قولـه تعـالى : "ولمـا يعلـم اللـه الذيـن جـاهدوا منكـم ويعلـم الصـابرين"(٩٩)

وقولـه تعـالى : "يـا ليتنـا نـرد ولا نكذب بآيـات ربنـا ونكـون مـن المؤمنيـن"(١٠٠)

ويـرى الكوفيـون ـ كمـا سبق ـ أن واو المعيـة هـى التـى تنصـب الفعـل المضـارع فـى جـواب النفـى والطلـب.(١٠١)

ولذلـك يطلقـون عليهـا ـ واو الصـرف ، ومعناهـا ـ أن الفعـل كـان يقتضـى إعرابـاً ، فصرفتـه الـواو عنـه إلـى النصـب ، كقولـه تعـالى : "أتجعل فيهـا من يفسد فيهـا ويسـفك الدمـاء"(١٠٢) علـى قـراءة النصـب(١٠٣) فقد روى أسيد عن الأعرج ـ أنـه قـرأ : "ويسـفك الدمـاء" ـ بـالنصب ، يجعلـه جـواب الاسـتفهام بـالواو(١٠٤) فـإن لـم تصرفـه الـواو إلـى النصـب ـ كان معربـاً بـالرفع عطفـاً علـى الفعل المرفـوع قبلـه.

ولعل المتـأمل فـى هـذه الـواو ـ لايجـدر فرقـاً بيـن دلالتهـا ـ فـى حالـة نصـب الاسـم المفرد بعدهـا ، ودلالتهـا فـى حالـة نصـب المضـارع بعدهـا ، إذ هـى للمصاحبـة فـى كـل مـن الحـالين ممـا دفـع الكوفييـن إلـى القـول بعـامل الخـلاف تـارة ، وبعـامل الـواو تـارة أخـرى ، ولمـا رأى البصريـون ـ أن هـذا الفعـل ـ فـى حالـة نصبـه ـ ليـس مسـبوقاً بنـاصب ظـاهر ـ وهـم يرفضـون العـامل المعنـوى ، وهـو الخـلاف : كمـا يرفضـون النصـب بـالواو لأنهـا مـن حـروف العطـف ـ جعلـوا الفعـل منصوبـاً بـ (أن) مضمـرة وجوبـاً ، حتـى يجعلـوا المعطـوف مصـدراً مؤولا وهـذا دفعهـم إلـى جعـل المعطـوف عليـه مصـدراً متوهمـاً ، وحينمـا

يرون الفعل مرفوعاً بعد الواو ـ يضمرون له مبتدأ ، ويجعلون الفعل خبرا عنه ، ومن ثم تكون الجملة فى موضع الحال ، وتكون الواو حالية ، ولاتخرج حينئذ عن كونها للمصاحبة وإذا قلنا بإمكانية جعل الاسم المفرد المنصوب بعد واو المعية ـ شبيها بالحال : كقولنا : (سافرت وطلوع الشمس) ـ فلماذا لا يمكن القول بجعل المصدر المؤول من (أن) المضمرة والفعل ـ شبيها بالحال أيضا : كقولهم (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) فالتقدير : (وشرب اللبن) وبذلك لا نضطر إلى تقدير مصدر متوهم ، وليس وقوع المصدر حالاً فى اللغة أمراً غريباً ، فمنه قوله تعالى : "ثم ادعهن يأتينك سعياً"(١٠٥)

وبذلك لاتخرج الواو عن كونها حالية فى كل ذلك ، وهذا بطبيعة الحال ـ لا يتعارض مع دلالتها على المعية أو المصاحبة سواء أوقع بعدها اسم منصوب ، أم فعل منصوب ، أم فعل مرفوع على تقدير متبدأ محذوف حيث لايجوز أن تربط الواو وحدها ـ الجملة الفعلية ـ التى فعلها مضارع مثبت.

واو الاستئناف

المقصود بواو الاستئناف عند النحاة ـ أنها هى التى يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها ، ولا مشاركة فى الإعراب ولذلك تسمى واو القطع ، أو الابتداء.

وتقع بعدها الجملتان : الاسمية والفعلية.

فالاسمية نحو قوله تعالى : "ثم قضى أجلاً وأجل مسمى"(١٠٦)

والفعلية ـ نحو قوله تعالى : لنبين لكم ونقرُّ فى الأرحام ما نشاء"[١٠٧]

وقوله تعالى : "هل تعلم له سمياً ويقول الانسان"[١٠٨]

ويعقب الزركشى والمرادى على ذلك بقولهما : "والظاهر أنها الواو التى تعطف الجمل ، التى لا محل لها من الإعراب لمجرد الربط ، وإنما سميت واو الاستئناف لئلا يتوهم أن ما بعدها من المفردات ـ معطوف على ما قبلها"[١٠٩]

وهذا متناقض مع ما قرراه آنفاً من أنها تدخل على جملة غير متعلقة بما قبلها ، ولا مشاركة له فى الإعراب ، إذ لو كانت عاطفة ـ كما يقول السيوطى ـ لنصب (نقر) وانجرم (يذرهم) فى قوله تعالى : "من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون"[١١٠] ـ فى قراءة الرفع ، التى قرأ بها نافع وابن عامر وابن كثير وأبو عمرو وعاصم على خلاف بينهم بالنون أو بالياء[١١١] ولنصب (أجل)[١١٢] ولعل الدليل على أنها ليست عاطفة ـ أنها تأتى فى ابتداء الكلام : كقوله تعالى : "والله يدعو إلى دار السلام"[١١٣] فهذا الكلام مستأنف جديد ، لم يعطف على ما قبله حيث لم تتحقق المشاركة فى الحكم أو فى الإعراب على نحو ما اصطلح عليه النحاة ، لأنه ذكر بعد كلام استوفى معناه وهو تصوير الحياة الدنيا بالماء الذى ينزل على الأرض ، فتخضر وتزدهر ، ثم يئول أمرها إلى الفناء.

وكقوله تعالى : "وجعلنا الليل والنهار آيتين"[١١٤]

أليس الحديث عن ظاهرتى الليل والنهار ـ جديداً بالنسبة لما سبقه من الحديث عن دعاء الإنسان بالشر كدعائه بالخير فليس فى ذلك كله عطف ، لأن العطف يقتضى ـ وجود مناسبة بين الجملتين ولذلك أنكر عبد القاهر الجرجانى ـ أن تكون الواو الواقعة بين جملتين لا مناسبة بينهما ـ للعطف وفى ذلك يقول : "إذا قلنا : (زيد قائم وعمرو قاعد) ، فإنا لا نرى هينا حكماً نزعم أن الواو ـ جاءت للجمع بين الجملتين فيه. فإنا نرى أمراً آخر نحصل معه على معنى الجمع ، وذلك أنا لا نقول : (زيد قائم وعمرو قاعد) حتى يكون عمرو بسبب من زيد ، وحتى يكونا كالنظرين والشريكين ، وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثانى. يدلك على ذلك أنك إن جئت فعطفت على الأول شيئا ليس منه بسبب ولا هو مما يذكر بذكره ، ويتصل حديثه بحديثه ، لم يستقم فلو قلت : (خرجت اليوم من دارى) ، ثم قلت : (واحسن الذى يقول بيت كذا) ـ قلت ما يضحك منه ، ومن هنا عابوا أباتمام فى قوله :

لا والذى هو عالم أن النوى

صبر وأن أبا الحسين كريم

وذلك لأنه لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى ولا تعلق لأحدهما بالآخر ، وليس يقتضى الحديث بهذا الحديث بذاك"[١١٥]

فيتضح من كلام عبد القاهر هذا ـ أن الواو ـ بين الجملتين أو الجمل ـ لا تعد عاطفة ـ إلا إذا كان بين الجملتين ، أو الجمل مناسبة مباشرة ، أو تعلق ظاهر.

أما إذاكانت الجملة الثانية مستقلة فى معناها وإعرابها فإن الواو ـ ليست عاطفة ، وإنما هى للاستئناف ـ التى تشعر بأن المتحدث ـ يستأنف كلاماً جديداً مستقلا عما سبق فى معناه وإعرابه ، ومن ثم فإن النقاد ـ قد عابوا أبا تمام فى معناه السابق ، لأنه فتح همزة (أن) الواقعة بعد الواو مما يقتضى تعلقها بما قبل الواو إعرابيا.

ولو قال أبو تمام : (وإن أبا الحسين كريم) ـ بكسر الهمزة على جعل الواو استئنافية. لساغ له ذلك ، ولما عابه النقاد.

ولو كانت الواو عاطفة مشركة بين الجملتين فى الحكم ـ لنصب الفعل : (نقر) فى قوله تعالى : "لنبين لكم ونقر فى الأرجام ما نشاء"[١١٦] عطفا على الفعل : (نبين) ، ولكنه جاء مرفوعا إشعاراً بأن الجملة مستقلة فى الحكم والإعراب وأن الواو للاستئناف.

وإذا كانت الواو للاستئناف فيما ذكرناه من شواهد قرآنية ونحوها، وإذا كنا قد نفينا أن تكون عاطفة ـ كما ذهب بعض النحاة ـ فليس معنى ذلك ـ أنها لا دلالة لها سوى وقوعها فى بداية جملة مستقلة ، أو كلام مستأنف. كلا ولكن لها دلالة ، وهى أنها تقوم بالربط بين الجمل أو الكلام الذى لا يجمع بينه حكم ظاهر ، أو إعراب ، ولكن يجمع بينه سياق معنوى ، أو تسلسل فكرى ، وهذا لايدرك من خلال جمل قليلة ولكن يلحظ من الأسلوب بوجه عام.

ولعل واو الاستئناف فى القرآن الكريم ـ من هذا القبيل فهى تربط بين موضوعات مختلفة تهدف إلى تحقيق غرض فكرى واحد مما هو موضح فى كتب التفسير لا تتحمل هذه الدراسة ذكره.

دلالة الواو على جماعة الذكور

ومن دلالات الواو التركيبية ـ أنها تدل على جماعة الذكور فيضمر بها عنهم ، أو يرمز بها إليهم ، ولا فرق فى ذلك بين لحوقها الفعل ، والاسم ، وذلك نحو قوله تعالى : "وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه"(١١٧)

فقد لحقت الواو كلاً من الفعلين الماضيين : (سمعوا) (أعرضوا).

ونحو قوله تعالى : "قد أفلح المؤمنون"(١١٨)

فقد لحقت الواو الاسم ، وهو : (المؤمنون) وهى فى كل من الفعل والاسم ـ يرمز بها إلى جماعة الذكور ـ إلا أنها فى الفعل ـ تشغل وظيفة نحوية وهى الفاعل ـ الذى هو أحد ركنى الجملة الفعلية وبذلك تكون الواو فى نحو : (سمعوا) ، (أعرضوا) اسماً ، لأنها ضمير الجمع ، ومن ثم تكون هى الفاعل كما ذكرنا ، وهذا هو المشهور عن جمهور النحاة.

ولكن ابن هشام نقل عن الأخفش والمازنى ـ أنها حرف فيكون الفاعل عندهما ضميراً مستتراً.(١١٩)

أما إذا لحقت الاسم : كما فى نحو : (المؤمنون) فى الآية السابقة ، وفى نحو قولهم : (جاء الزيدون) فإنها تكون حرفاً باتفاق النحاة ، لأنها لا تمثل ركنا فى الجملة كما هو الحال فى الفعل ولكنها تكون علامة على جماعة الذكور ، كما تكون علامة على الإعراب فى حالة الرفع.(١٢٠)

فالواو فى جمع المذكر السالم المرفوع ـ لها دلالة مزدوجة فهى علامة على جمع الذكور ، لأن بعض الأصوات المفردة فى بنية اللغة ـ يرمز بها كعلامات على التثنية والجمع : كالتاء فى (رانية) (علمت) ، والألف المقصورة فى (ليلى) ، (كبرى) ، والألف الممدودة فى (حوراء) ، (حسناء) ،والواو فى (عادلون) ، (جائرون) والألف فى (عدلان) ، (جائران).(١٢١)

وإذا كانت الواو فى الاسم ـ علامة على جماعة الذكور ورمزاً إليهم فضلا عن كونها علامة على الإعراب فى حالة الرفع ـ فإن بعض العرب جعلوها فى الفعل ـ علامة على المذكرين ، وهم طيىء وأزد شنوأة و بلحارث ، ومن ثم يظهرون الفاعل معها ، وجعلوا من ذلك ـ قول الرسول ـ ﷺ ـ : "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار".

كما ورد عن العرب شواهد شعرية كثيرة نقلتها كتب النحو جمعت بين علامة التثنية ، أو الجمع ، والفاعل ، وقد عرفت هذه اللغة عندهم بلغة : (أكلونى البراغيث).

وقد اختلفوا فى حقيقة هذه الواو ، فهى عند سيبويه ـ حرف دال على الجماعة ، كما أن التاء فى (قالت) حرف دال على التأنيث.

وقيل : هى اسم مرفوع على الفاعلية ، ثم اختلفوافى الاسم الظاهر ، فقيل : هو بدل من الواو ، وقيل : هو مبتدأ مؤخر ، خبره الجملة الفعلية المتقدمة.(١٢٢)

وقد حمل بعضهم ـ قوله تعالى : "ثم عموا وصموا كثير منهم"(١٢٣)

وقوله تعالى : "وأسروا النجوى الذين ظلموا"[١٢٤] على هذه اللغة[١٢٥] ، ثم عقب ابن هشام على ذلك بقوله : "وحملهما ـ يعنى الآيتين ـ على غير هذه اللغة ـ أولى ، لضعفها"[١٢٦]

وأرى أن حمل بعض الظواهر النحوية ـ على إحدى لغات العرب ـ أفضل من الإغراق فى التأويل والتخريج ، وقلة اللغة لا تعنى ضعفها وقد استحسن النحاة أن تكون قراءة من قرأ : "إن هذان لساحران"[١٢٧] على لغة من يلزمون المثنى الألف فى كل أحواله فهذا أفضل من البحث عن وجه غريب من وجوه العربية.

واو الثمانية

قال المرادى : "ذهب قوم إلى إثبات هذه الواو منهم : ابن خالويه ، والحريرى ، وجماعة من ضعفة النحويين ، قالوا : من خصائص كلام العرب إلحاق الواو فى الثامن من العدد ، فيقولون : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، وثمانية إشعاراً بأن السبعة عندهم عدد كامل ، واستدلوا بقوله تعالى : "التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر"[١٢٨] وبقوله تعالى : "ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم"[١٢٩] وبقوله تعالى : "مسلمات مؤمنات قانتاتٍ تائبات عابداتٍ سائحات ثيباتٍ وأبكارا"[١٣٠]

وبقوله تعالى : "حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها"[١٣١] قالوا: ألحقت الواو ، لأن أبواب الجنة ثمانية ، ولما ذكر جهنم ـ قال : (فتحت) بلا واو ، لأن أبوابها سبعة"[١٣٢] وقال ابن هشام : "ذكرها

جماعة من الأدباء كالحريرى ومن النحويين الضعفاء : كابن خالويه ومن المفسرين : كالثعلبى ، وزعموا أن العرب إذا عدوا قالوا : ستة ، سبعة ، وثمانية ، إيذاناً بأن السبعة عدد تام ، وأن ما بعدها عدد مستأنف ، واستدلوا على ذلك بآيات"[١٣٣] ثم ساق ابن هشام ـ الآيات ـ التى ذكرناها آنفاً وقد انكر المحققون من النحاة ـ دلالة الواو على الثمانية ولعل موقفهم هذا راجع إلى أن دلالة الواو على العدد ليست وظيفة نحوية ، وإنما هى دلالة مفهومة من السياق استنبطوها من اقتران العدد الثامن بالواو فى بعض الآيات القرآنية ، ولعلهم استندوا فى ذلك أيضا ـ إلى أن العدد السابع ـ ارتبط عند العرب بأمور كثيرة لا ثامن لها : كالسموات السبع ، والأرضين السبع والأيام السبعة ـ إلى غير ذلك مما يرمز فيه ـ بأن العدد السابع ـ هو غاية الأمر ، فعدوا العدد الثامن ـ عدداً مستأنفا بعد عدد تام ، ولكن المنكرين لهذه الواو ـ لم ينظروا إلى هذه الاعتبارات إذلا علاقة لذلك كله بالمعانىالنحوية ، ومن ثم التمسوا للواو الواردة فى هذه الآيات ـ وجوها نحوية فى إطار المعانى النحوية ـ التى تساق الواو من أجلها فى الجملة ، وفيما يلى نذكر أقوال النحاة فى تخريج هذه الآيات :

أ ـ قوله تعالى : "التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر".

قال المرادى : " أما قوله تعالى : (والناهون) ـ فالواو عاطفة ـ وحكمة ذكرها فى هذه الصفة دون ما قبلها من الصفات ـ ما بين الأمر والنهى من التضاد ، فجىء بالواو رابطة بينهما لتباينهما وتنافيهما"[١٣٤]

وقال ابن هشام : "والظاهر أن العطف فى هذا الوصف بخصوصه إنما كان من جهة أن الأمر والنهى من حيث هما أمر ونهى متقابلان ، وبخلاف بقية الصفات ، أو لأن الآمر بالمعروف ـ ناه عن المنكر ، والناهى عن المنكر ـ آمر بالمعروف ، فأشير إلى الاعتداد بكل منهما ، وأنه لايكتفى فيه بما يحصل فى ضمن الآخر "(١٣٥)

فالمرادى وابن هشام ـ يتفقان على أن الواو فى هذه الآية ـ عاطفة ، كما أنهما يتفقان أيضا على علة مجيئها بين الأمر والنهى وهى ما بين الصفتين من تضاد ، ولكن ابن هشام يذكر علة أخرى وهى أن الواو جىء بها إشارة إلى الاعتداد بالأمر والنهى معاً ، وإلا ـ فإن معنى كل من الصفتين مفهوم من الآخر ضمنا...

ب ـ قوله تعالى : "سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم".

قال الزمخشرى : "فإن قلت : فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ، لم دخلت عليها دون الأولين ؟ فقلت : هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة ، كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة فى نحو قولك : (جاءنى رجل ومعه آخر) ، (ومررت بزيد وفى يده سيف) ، ومنه قوله تعالى : "وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم"(١٣٦)

وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر ، وهذه الواو هى التى آذنت بأن الذين

قالوا : (سبعة وثامنهم كلبهم) ـ قالوه عن ثبات علم ، وطمأنينة نفس".[١٣٧]

وذهب المرادى ـ إلى أن الواو هنا ـ هى واو العطف ، أى : (يقولون سبعة وثامنهم كلبهم) فهما جملتان ، يعنى أن جملة اسمية ـ قد عطف على مثلها ،وهى جملة مقول القول المكونة من الخبر المذكور : (سبعة) ، والمبتدأ المحذوف ، وتقديره : (هم) ، ثم عقب المرادى على مُاذهب إليه الزمخشرى ، فقال : "وهو معترض من جهة أن دخول الواو على الصفة لم يقل به أحد من النحويين"[١٣٨]

كما أورد ابن هشام عدة أقوال فى تخريج هذه الواو ، فذكر أولاً ـ أنها عاطفة جملة على جملة متفقا بذلك مع المرادى ، فالتقدير: (هم سبعة وثامنهم كلبهم) ، ثم نقل خلافهم فى هاتين الجملتين ، هل هما من كلامهم ، أو الجملة الأولى من كلامهم ، والعطف من كلام الله تعالى ...؟ ، وعلى القول الثانى تكون الجملة المعطوفة تصديقاً لكلامهم ـ الذى هو : (ويقولون سبعة) ، كما أن قوله تعالى : "رجما بالغيب" تكذيبٌ لكلامهم الأول ، ومن ثم يكون المعنى : (ويقولون سبعة ، نعم هم سبعة وثامنهم كلبهم) ، ويؤيده قول ابن عباس ـ رضى الله عنهما : "حين جاءت الواو انقطعت العدة : أى لم تبق عدة عاد يلتفت إليها "ثم نقل ابن هشام قولا آخر ـ وهو أنها واو الحال ، وهذا يستلزم تقدير المبتدأ اسم إشارة أى : (هؤلاء سبعة) ليكون فى الكلام ما يعمل فى الحال ، ولكن ابن هشام ـ يناقش هذا القول بأنه مردود ، لأن حذف عامل الحال ـ إذا كان معنويا ـ ممتنع ولهذا ردوا على المبرد قوله فى بيت الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم

إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشرُ

إن (مثلهم) حال ، ناصبها خبر محذوف ، أى : (وإذ ما فى الوجود بشر مماثلا لهم).[١٣٩]

جـ ـ قوله تعالى : "حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها" نقل المرادى ـ فى تخريج الواو هنا ـ عدة أقول ، فقال أبو على ، وغيره هى واو الحال ، والمعنى : حتى إذا جاءوها ، وقد فتحت ، أى جاءوها وهى مفتحة لايوقفون ، وهذا قول المبرد أيضاً ، وقيل : إن أبواب جهنم لا تفتح ، إلا عند دخول اهلها ، وأما أبواب الجنة فيتقدم فتحها ، بدليل قوله تعالى : "جنات عدن مفتحة لهم الأبواب"[١٤٠] ، وجواب (إذا) على هذا القول ، محذوف تقديره : بعد (خالدين) ، أى : (نالوا المنى) ، ونحو ذلك ، وقد حذف للتعظيم ، وقيل : الجواب المحذوف بعد (أبوابها) ، أى : (دخلوها) وقيل : الجواب ـ (وقال لهم) ، والواو مقحمة وقيل : الجواب (وفتحت) ، فتكون الواو مقحمة أيضاً ، أى : بين الشرط والجواب.[١٤١]

وقال ابن هشام : "وأقول : لو كان لواو الثمانية حقيقة ـ لم تكن الآية منها ، إذ ليس فيها ذكر عدد ألبتة ، وإنما فيها ذكر الأبواب وهى جمع لا يدل على عدد خاص ، ثم الواو ليست داخلة عليه ، بل على جملة هو فيها". ويذهب ابن هشام ـ إلى أن الواو ـ إما مقحمة بين الشرط والجواب ، وإما عاطفة ، وإما أن تكون للحال[١٤٢] كما سبق.

د ـ قوله تعالى : "مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا".

قال الزمخشرى : "فإن قلت : لم أخليت الصفات كلها عن العطف ، ووسط بين الثيبات والأبكار؟

قلت : لأنهما صفتان متنافيتان لايجتمعان فيهن اجتماع سائر الصفات ، فلم يكن بد من الواو"(١٤٣)

وقد سلك المرادى مسلك الزمخشرى فى أن هذه الواو ـ ليست للثمانية ، وإنماهى عاطفة ، فقال : "وأما قوله تعالى : (وأبكارا) فليس من هذا الباب ، لأن الواو فيه عاطفة ، ولابد من ذكرها ، لأنها بين وصفين لا يجتمعان فى محل واحد".(١٤٤)

ويؤكد ابن هشام ما قرره الزمخشرى والمرادى ، ويزيده ايضاحا ، فيقول : "والصواب أن هذه الواو وقعت بين صفتين هما تقسيم لمن اشتمل على جميع الصفات السابقة ، فلا يصح إسقاطها إذ لا تجتمع الثيوبة والبكارة ، وواو الثمانية صالحة للسقوط" ثم يذكر ابن هشام دليلا آخر على أن الواو ليست للثمانية ، وهو أنها دخلت على الصفة التاسعة ، لا الثامنة ، إذ أولى الصفات : (خيراً منكن) فإن أجيب بأن (مسلمات) ، وما بعده تفصيل لـ (خيرا منكن) ، فلهذا لم تعد قسيمتلها ـ فإن ابن هشام ـ يرد على هذا الاعتراض بأن (ثيبات وأبكارا) ـ تفصيل للصفات السابقة ، فلا تعدان منها.(١٤٥)

فهذا هو موقف بعض النحاة ـ الذين أنكروا واو الثمانية ، وخلاصة موقفهم ـ أنهم جعلوهافى ذلك كله للعطف وقد لخص

السيوطى هذا الموقف بقوله : "والصواب عدم ثبوتها ، وأنها فى الجميع للعطف".(١٤٦)

ويبدو أن الجمع بين هذين الموقفين ، أعنى موقف المثبتين لواو الثمانية ، والمنكرين لها ـ سهل ميسور ، حيث يمكن القول بأنهاواو العطف ، وفى الوقت نفسه تدل على الثمانية أيضاً ، فلا مانع من أن تحمل الواو دلالة ما مع كونها عاطفة ، وليس إمكان سقوطها ، أو عدم سقوطها ـ مقياساً لدلالتها على الثمانية ، أو العطف لأن واو العطف نفسها ـ قد تكون صالحة للسقوط فى موضع ، وغير صالحة فى موضع آخر ، ولذلك سقطت من الصفات ـ التى يمكن اجتماعها ،ولم تسقط من الصفتين اللتين لا تجتمعان ، فهى قد عطفت صفتين متنافيتين كما دلت فى الوقت نفسه على أن العدد ثمانية ، ولعل هذا من أسرار الإعجاز القرآنى.

واو التذكر

المقصود بواو التذكر ـ عند النحاة أن المتكلم يقف على الكلمة لأنه نسى مابعدها ، ولكنه لا يقف على الكلمة بالسكون ـ على حد الوقف ، وإنما يقف عليها بالحركة الإعرابية أو البنائية التى يتحرك بها الحرف الأخير ، فيشبع الحركة ، فإن كانت ضمة ـ مدها حتى تصير واو بقصد تذكر ما يليها، ومن هنا أطلق النحاة على هذه الواو ـ واو التذكر ، أو التذكار ، وذلك نحو قولهم : (يقولو) من قولهم : (يقول زيد) ، قال المرادى : "وإنما يكون ذلك فى الوقف على الكلمة

لتذكر ما بعدها فإن كان آخر الموقوف عليه ساكنا كسر وألحق الياء ولاتحلق هاء السكت حرف التذكار ، لأن الوصل منوى" [١٤٧]

وقال ابن هشام : واو التذكر ، كقول من أراد أن يقول : (يقوم زيد) فنسى (زيد) فأراد مد الصوت ليتذكر ، إذ لم يرد قطع الكلام (يقومو)"[١٤٨] وقد عد بعض النحاة حرف الانكار ، وحرف التذكار ـ من حروف المعانى ، على حين عد بعضهم ذلك ـ من قبيل اشباع الحركة ، قال ابن هشام : "والصواب أن هذه كالتى قبلها"[١٤٩] يريد أنها اشباع لحركة الضمة : كالواو التى أشار إليها آنفا ، هى واو الانكار.

واو التعليل

ذكرها ابن هشام نقلا عن الخارزنجى ـ الذى أثبتها وحمل عليها ـ الواوات الداخلة على الفعل المضارع المنصوب وحينئذ تفيد التعليل ، كما تفيده اللام ، وجعل من ذلك قوله تعالى : "أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ، ويعلمَ الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص"[١٥٠] "أم حسبتم أن تدخلواالجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلمَ الصابرين"[١٥١] فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين[١٥٢]

فالواو ـ عند الخارزنجى ـ فى كل من : (ويعلم الذين) (ويعلم الصابرين) ، (ولانكذب) ، (ونكون من المؤمنين) ـ تفيد التعليل وعليه يكون المعنى : (ليعلم الذين آمنوا) ، (ليعلم الصابرين) (لئلا نكذب) ، (لنكون من المؤمنين).

وهـذا المذهـب يقتضـى أن يكـون الفعـل منصوبـاً بـ (أن) مضمرة جوازا بعد لام التعليل. وقد أنكر ابـن هشـام ـ مـا ذهـب إليـه الخـارزنجى فقـال : والصـواب أن الـواو فيهـن للمعيـة.[١٥٣]

الواو المبدلة من همزة الاستفهام

ويعنـون بهـا ـ الـواو التـى تبـدل مـن همـزة الاسـتفهام الداخلـة علـى همـزة اخـرى ، وكـان مـا قبلهـا مضمومـا ، وقـد ورد ذلـك فـى قـراءة قنبـل قـال "فرعـون وآمنتـم"[١٥٤] وإليـه النشـور وآمنتـم[١٥٥] فـالاصل : (أآمنتم) ، (أأمنتم) ، ثـم قلبـت الهمـزة الأولـى ، وهـى همـزة الاسـتفهام واواً حيـث سبقت بحـرف مضمـوم ، ولا يعـد أكـثر النحـاة ذلـك مـن قبيـل الـواوات ، بـل يعـدون ذلـك ابـدالا اقتضـاه اجتمـاع همزتيـن بعـد ضـم ولذلك عقب المرادى وابـن هشـام بعـد ايرادهـم هـذه الـواو بقولهمـا ولا ينبغـى ذكـر مثـل هـذا إذ لـو فتـح هـذا البـاب لعـدت الـواو مـن حـرف الاسـتفهام".[١٥٦]

مجىء الواو بمعنى الباء

ذكـر بعـض النحـاة ـ أن الـواو قـد تسـتعمل بمعنـى بـاء الجـر واستدل بكـلام مـأثور عـن العـرب ، فقـد نقـل ابـن الشـجرى عـن بعضهـم قولـه : "قسـت شـعرك وشـعرد" ثـم قـال : "تحتمـل الـواو أن تكـون عاطفـة وأن تكـون بمعنـى مـع ، وأن تكـون بمعنـى البـاء كمـا قـالوا : اشـتريت الحمـلان حمـلا ودرهمـا ، يريـدون بدرهـم"[١٥٧] كمـا ذكـر ابـن هشـام أيضـا ـ أن الـواو تـرد فـى الكـلام بمعنـى البـاء واسـتدل بقولهـم : (أنـت

أعلم ومالك) وبقولهم أيضا : (بعت الشاء شاة ودرهما)[١٥٨] فالمعنى : (أنت أعلم بمالك) ، (بعت الشاء شاة بدرهم) ويتضح من هذا ـ أن الواو تاتى بمعنى الباء معنى لا عملا ، بدليل نصب الاسم بعدها مما جعل ابن الشجرى يحملها على العطف ، أو على المعية إلى جانب كونها بمعنى الباء ، وذلك لأن الواو ـ لا تعاقب الباء معنى وعملا ـ إلا فى القسم.

الواو الزائدة

ذهب الكوفيون والأخفش وتبعهم ابن مالك ، إلى أن الواو قد تكون زائدة ، وأنشد الكوفيون على ذلك قول الشاعر :

حتى إذا قملت بطونكم ورأيتم أولادكم شبوا

وقلبتمُ ظهر المجن لنا إن اللئيم الفاجر الخب[١٥٩]

أراد : (قلبتم) فالواو زائدة فى الجواب وأنشد أبو الحسن الأخفش ـ قول الشاعر :

فإذا وذلك يا كبيشة لم يكن إلا كَلَمَّةِ بارق بخيال[١٦٠]

يريد : (فإذا ذلك) فالواو زائدة. كما ذكروا زيادة الواو فى آيات :منها قوله تعالى "حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها"[١٦١] أى : (حتى إذا جاءوها ـ فتحت) ومنها أيضا قوله تعالى : "فلما اسلما وتله للجبين وناديناه"[١٦٢] قيل : واو (وتله) زائدة ، وهو الجواب ، وقيل الزائدة واو (وناديناه) ومذهب جمهور البصريين أن الواو لا تزاد وتأولوا هذه الآيات ونحوها على حذف الجواب[١٦٣] وقد تبع ابن الشجرى وغيره ـ مذهب البصريين فقد ساق ابن الشجرى قوله

تعالى: "حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها" ـ فى معرض حديثه عن حذف الجواب ثم عقب على قول بعضهم بزيادة الواو : "وأقول إن حذف الأجوبة فى هذه الأشياء أبلغ فى المعنى" ولو قدر فى موضع دخلوها : فازوا لكان حسنا ـ يعنى أن جواب الشرط فى الآية ـ ينبغى أن يقدر بكلمة (فازوا) بدلا من تقدير بعضهم (دخلوها) كما قدر ابن الشجرى ـ الجواب المحذوف فى البيتين السابقين بقوله :تقدير الجواب بعد قوله : (وقلبتم ظهر المجن لنا) ظهر عجزكم عنا ، وخبكم لنا ثم عقب ابن الشجرى على من قال بزيادة الواو فى (وقلبتم) بقوله : "وليس ذلك بشىء لأن زيادة الواو لم تثبت فى شىء من الكلام الفصيح ، وحذف الأجوبة كثير.[١٦٤]

وقال ابن هشام : الزيادة ظاهرة فى قوله :

فما بال من اسعى لأجبر عظمه حفاظا وينوى من سفاهته كسرى[١٦٥]

وقوله :

ولقد رمقتك فى المجالس كلها فإذا وأنت تعين من يبغينى[١٦٦]

فقد زيدت الواو ـ فى البيت الأول ـ فى جملة الحال : (وينوى) والأصل : (فما بال من اسعى لاجبر كسره حفاظا ينوى) وزيدت ـ فى البيت الثانى ـ على المبتدأ ـ الذى هو (أنت) ، والأصل : (فإذا انت) والحق أننا لاينبغى أن نقول بزيادة الواو فى القرآن الكريم والقول بحذف الجواب ـ أفضل لأن جواب الشرط ـ إذا كان مفهوما من السياق فلا حرج فى حذفه ، وحذف الجواب المعلوم فى القرآن الكريم ـ شائع للايجاز المعجز.

أما زيادة الواو على الحال ، أو على المبتدأ ـ كما ورد ذلك فى الشعر ـ فإنه جائز لضرورة الشعر من جهة وتحسين اللفظ من جهة أخرى.

خاتمة

وهكذا فقد أوردنا ما استطعنا ايراده من الدلالات المتعددة والمتنوعة ـ التى تستعمل فيها الواو ـ فى التركيب النحوى ، ولا شك أن هذه الدلالات ـ ليست من عطاء الواو المفردة المنعزلة من سياقها اللغوى بل إن التراكيب اللغوية وتنوعها هو الذى أدى إلى تنوع الدلالات للواو العربية.

وقد أعرضت عن بعض دلالات الواو مما أوردت ابن هشام وغيره : كواو الإنكار فى نحو قولهم : (أعمروه) ، لمن قال : (جاء عمرو)، ويسميها كثير من النحاة واو الإنكار ، لأنها تدل على إنكار السامع لما سمعه ، وذلك لأنها ليست واوا حقيقة ، وإنما هى ناتجة عن اشباع حركة الضم ، فهى دلالة صوتية ، لا تركيبية ، وقد أشرت إليها فى بحث سابق عن خصائص الواو الصوتية الذى نشرته صحيفة دار العلوم[١٦٧] وربما اشبهتها واو التذكر من حيث إنها اشباع للحركة أيضا نحو قولهم : (يقولو) من قولهم : (يقول زيد) وذلك عند الوقف على الكلمة بسبب نسيان ما بعدها غير أنى ذكرتها هنا ، لأن دلالتها مرتبطة بالتركيب ، إذ إن المتكلم لم يقف على الفعل بإشباع حركته إلا بقصد تذكر فاعله ، وكأن الوصل فى نيته بخلاف الإنكار الذى أشرت إليه آنفاً ، فإنه منصب على الكملة المفردة من التركيب لا التركيب كله.

كذلك لم أفرد مبحثاً مستقلاً عما أسماه بعض النحاة ـ وعلى رأسهم الزمخشرى ـ من الواو الداخلة على الجملة الموصوف بها

لتأكيد لصوقها بموصوفها ، وإفادتها أن اتصافه بها أمر ثابت ، فقد ذكرها ابن هشام ، ولكنه نبه على أنها عند الجمهور – واو الحال ومنها قوله تعالى : "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم"[١٦٨] وقوله تعالى "وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم"[١٦٩].

فالجملة الداخلة عليها الواو – في هاتين الآيتين ونحوهما – إنما هي جملة حالية ، وليست نعتاً مؤكداً بالواو ، كما زعم الزمخشري ، لأن المسوغ لمجيء الحال من النكرة – في الآية الأولى – امتناع الوصفية حيث لا تقترن جملة الوصف بالواو وفي الآية الثانية – وقوع النكرة في سياق النفي فضلاً عن وجود (إلا) ، والواو فهما ما نعان من كون الجملة صفة.[١٧٠]

ويمكن أن نستخلص من ذلك – النتائج الآتية :

الأولى : أن نقبل كل ما ورد عن العرب من استعمالات للواو حتى وإن كان الاستعمال قليلاً أو نادراً ، لأن ذلك يسهم في إثراء اللغة وتراكيبها.

الثانية : أن الواو – على كثرة ما تجود به من دلالات مختلفة في الجملة – فإنها قد تحتمل أكثر من دلالة في الاستعمال الواحد كالواو العاطفة ، فإنها قد تعطف اللاحق على السابق ، أو العكس ، أو المصاحب ، وقد تفيد الترتيب : كالفاء.

الثالثة : لا ينبغي أن نسلم بكل ما ذكره النحاة من مصطلحات نحوية بل من الممكن ان نحاورهم في ذلك ، ومن ذلك إطلاقهم على الاسم المنصوب بعد واو المعية المسبوقة بجملة ذات فعل أو شبهه – المفعول معه.

وقد رأينا أن نسميه شبيها بالحال قياسا على الشبيه بالمفعول به.

الرابعة : أن الفعل المضارع المنصوب بـ (أن) مضمرة وجوبا بعد واو المعية فى جواب النفى أو الطلب ـ هو فى تأويل مصدر منصوب على الشبيه بالحال على حد ما ذكرنا فيما يسمى بالمفعول معه الصريح.

الخامسة : أن قبولنا لواو الثمانية الواردة فى بعض الآيات القرآنية ـ خير من كثرة الجدل والتأويل ، ولا مانع أن تكون دلالتها على الثمانية بجانب كونها عاطفة أيضا.

هذا وبالله التوفيق

الهوامش

١- المغنى الجديد فى علم الصرف د.محمد خير حلوانى ص٩.

٢- معانى الحروف : للرمانى ص ٥٩.

٣- شرح المفصل لابن يعيش : جـ٨ ص ٨٨.

٤- الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى : ص ١٥٨.

٥- سورة القمر : ١٦.

٦- سورة الأسراء : آية ١٥.

٧- سورة آل عمران : ١٨.

٨- سورة الفتح آية ٢٤.

٩- معانى الحروف للرمانى : ص ٥٩-٦٠.

١٠- الجنى الدانى فى حروف المعانى : ص ١٥٨-١٥٩-١٦٠.

١١- سورة العنكبوت : ١٥.

١٢- سورة الحديد : ٢٦.

١٣- سورة الشورى : ٣.

١٤- معجم الأدوات النحوية وإعرابها فى القرآن الكريم للسيوطى ص ٢٤-٢٥.

١٥- سورة القصص : آية ٧.

١٦- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام جـ٢ ص ٣٥٤.

١٧- سورة الإنسان :٣.

١٨- سورة سبأ : آية ٣٧.

١٩- الفاتحة : ٧.

٢٠- قالـه المتنخل : مـالك بـن عويمر ـ شـرح أبيـات المغنـى للبغـدادى جـ٦ ص٧٨ ، والمغنـى جـ٢ ص٣٥٥.

٢١- سـورة فـاطر : ٢٢.

٢٢- الأحـزاب : ٤٠.

٢٣- تفسـير القرطبـى : جـ٨ ص٥٤٦٥.

٢٤- شـرح الأشـمونى علـى الألفيـة جـ٣ ص٩١.

٢٥- قالـه ابـن ميـادة ـ شـرح أبيـات مغنـى اللبيب جـ٦ ص٧٨.

٢٦- قالـه الفـرزدق ـ شـرح أبيـات مغنـى اللبيب جـ٦ ص ٨٠.

٢٧- سـورة نـوح ٢٨.

٢٨- سـورة الحـزاب : ٧.

٢٩- سـورة البقـرة : آيـة ٣٥.

٣٠- سـورة الحشـر : آيـة ٩.

٣١- شـرح الأشـمونى جـ٣ ص١١٧.

٣٢- سـورة البقـرة آيـة ١٥٧.

٣٣- سـورة يوسـف ٨٦.

٣٤- سـورة طـه ١٠٧.

٣٥- قالـه الأحـوص شـرح أبيـات المغنـى جـ٦ ص١٠٢.

٣٦- سـورة المـائدة ٦.

٣٧- إتحـاف فضـلاء البشـر ١٩٨.

٣٨- مغنـى اللبيـب جـ٢ ص٣٥٤ -٣٥٧.

٣٩- سـورة التوبـة : آيـة ٩٢.

٤٠- سـورة الرعـد : ٢٠.

٤١- البرهان فى علوم القرآن للزركشى جـ٤ ص٤٤٢.

٤٢- قال الشنقيطى : ولم أعثر على قائله الدر اللوامع جـ٢ ص١٩٣.

٤٣- الهمع للسيوطى جـ٢ ص١٤٠ ، شرح الأشمونى جـ٣ ص ١١٦-١١٧.

٤٤- نتائج الفكر فى النحو : ص ٣٦٣-٣٦٤.

٤٥- المرجع السابق.

٤٦- الأنعام : ٧٦.

٤٧- سورة آل عمران : ٢٦.

٤٨- سورة النحل : ٨١.

٤٩- سورة الشعراء ٢٢.

٥٠- الهمع للسيوطى جـ٢ ص١٤٠.

٥١- قاله النابغة الذبيانى من قصيدة من الطويل يرثى بها النعمان ابن الحارث شرح الشواهد للعينى جـ٣ ص١١٦.

٥٢- شرح الأشمونى على الألفية جـ٣ ص١١٦.

٥٣- لسان العرب جـ٤ ص٢٦٨٦.

٥٤- شرح التصريح على التوضيح جـ٢ ص١٥٤-١٥٥.

٥٥- سورة الروم :٩.

٥٦- سورة غافر : ٨٢.

٥٧- سورة الزخرف :٥.

٥٨- الكشاف جـ٤ ، ص ٢٣٧.

٥٩- الأعراف :١٨٥.

٦٠- سورة يونس : ٥١.

٦١- آل عمـــران ١٠١.

٦٢- سـورة التكويـر : ٢٦.

٦٣- مغنـى اللبيـب جـ١ ص١٦.

٦٤- قاله عمرو بن البراقة النهمى ـ شرح شواهد العينى جـ٢ ص٢٣١.

٦٥- البقـرة : ١٩٦.

٦٦- البقـرة : ١٩٦.

٦٧- من شعر كثير عزة ـ شرح أبيات المغنى جـ٦ ، ص١٠٤.

٦٨- الاعـراف ١٥٥.

٦٩- مغنـى اللبيـب جـ٢ ص٣٥٨.

٧٠- سـورة آل عمـران : ١٥٤.

٧١- معـانى الحـروف للرمـانى ص ٦٠-٦١.

٧٢- الجنـى الدانـى فـى حـروف المعـانى ص ١٦٤.

٧٣- دلائـل الإعجـاز للجرجـانى ص ٢٠٢.

٧٤- لـم ينسـبه العينـى إلـى قائلـه : شـواهد العينـى جـ١ ص ٢٠٦ ـ شـواهد التوضيـح ص ٤٤-٤٥-٤٦.

٧٥- معـانى الحـروف للرمـانى ص ٦١.

٧٦- الجنـى الدانـى للمـرادى ص١٥٤.

٧٧- الجنـى الدانـى ص ٤٥.

٧٨- الجنـى الدانـى ص ١٥٤.

٧٩- سـورة يـس : ١-٢.

٨٠- سـورة التيـن :١.

٨١- مغنـى اللبيـب جـ٢ ص٣٦١.

٨٢- آمالى ابن الشجرى جـ٢ ص١٣٣.

٨٣- آمالى ابن الشجرى جـ٢ ص١٣٣.

٨٤- معانى الحروف للرمانى ص ٦١.

٨٥- البيت لرؤبة ـ هامش الجنى الدانى ص ١٤٧.

٨٦- الجنى الدانى ص ١٥٤ ، ص ١٥٥.

٨٧- معانى الحروف للرمانى ص ٦٠.

٨٨- الجنى الدانى ص ١٥٥.

٨٩- الجنى الدانى ص١٥٦.

٩٠- معانى الحروف ص ٦٠.

٩١- الجنى الدانى فى حروف المعانى ص ١٥٥.

٩٢- الجنى الدانى ص ١٥٥.

٩٣- قال أسامة بن الحارث الهذلى من قصيدة من المتقارب ، وليس من الوافد كما ذكر العينى ـ شرح الشواهد للعينى جـ٢ ص١٣٨.

٩٤- شرح الأشمونى على الألفية جـ٢ ص١٣٨.

٩٥- ونسبه بعضهم أيضاً إلى الأخطل هامش الجنى الدانى ص ١٥٦.

٩٦- معانى الحروف للرمانى ص ٦٢.

٩٧- لميسون بنت بحدل هامش الجنى الدانى ص ١٥٧.

٩٨- الجنى الدانى ص ١٥٧-١٥٨.

٩٩- آل عمران ١٤٢.

١٠٠- الأنعام ٢٧.

١٠١- معجم الأدوات النحوية وإعرابها فى القرآن الكريم للسيوطى ص٢٠٤.

١٠٢- البقـرة ٣٠.

١٠٣- البرهـان فـى علـوم القـرآن جـ٤ ص٤٣٥.

١٠٤- تفسـير القرطبـى جـ١ ص٣١٩.

١٠٥- البقـرة ٢٦٠.

١٠٦- الأنعـام آيـة ٢.

١٠٧- الحـج ٥.

١٠٨- مريـم : ٦٥-٦٦.

١٠٩- البرهـان فـى علـوم القرآن جـ٤ ، والجنـى الدانـى ص ١٦٣.

١١٠- الأعـراف ١٨٦.

١١١- حجـة القـراءات لأبـى زرعـة ص ٣٠٣.

١١٢- معجـم الأدوات النحويـة وإعرابهـا فـى القـرآن الكريـم ص ٢٠٥.

١١٣- يونـس ٢٥.

١١٤- الإسـراء ١٢.

١١٥- دلائـل الإعجـاز ص ٢٢٤-٢٢٥.

١١٦- الحـج ٥.

١١٧- القصـص ٥٥.

١١٨- المؤمنـون ١.

١١٩- مغنـى اللبيـب جـ٢ ص٣٦٥.

١٢٠- الجنـى الدانـى ص ١٧٣.

١٢١- المغنـى الجديد فـى علـم الصـرف د/ محمـد خـير حلوانـى ص ٩.

١٢٢- مغنـى اللبيـب جـ٢ ص٣٦٥-٣٦٦.

١٢٣- المـائدة آيـة ٧١.

١٢٤- الأنبيـــاء ٢.

١٢٥- المغنى جـ٢ ص٣٦٦ ، ومعجم الأدوات النحوية للسيوطى ص ٢٠٧.

١٢٦- المغنـــى جـــ٢ ص٣٦٦.

١٢٧- طـــه ٦٣.

١٢٨- التوبـــة ١١٢.

١٢٩- الكهـــف ٢٢.

١٣٠- التحريـــم ٥.

١٣١- الزمـــر ٧١.

١٣٢- الجنـــى الدانـــى ص ١٦٧-١٦٨.

١٣٣- المغنـــى جـــ٢ ص٣٦٢.

١٣٤- الجنـــى الدانـــى ص ١٦٨.

١٣٥- المغنـــى جـــ٢ ص٣٦٣-٣٦٤.

١٣٦- الحجـــر ١.

١٣٧- الكشـــاف جـــ٢ ص٧١٤.

١٣٨- الجنـــى الدانـــى فـــى حـــروف المعـــانى ص ١٦٩.

١٣٩- مغنـــى اللبيـــب جـــ٢ ، ص ٣٦٣.

١٤٠- ص ٥٠.

١٤١- الجنـــى الدانـــى ـــ ص ١٨٦-١٦٩.

١٤٢- مغنـــى اللبيـــب جـــ٢ ، ص٣٦٣.

١٤٣- الكشـــاف جـــ٤ ص٥٦٨.

١٤٤- الجنـــى الدانـــى ص ١٦٨.

١٤٥- مغنـــى اللبيـــب جـــ٢ ، ص ٣١٤.

١٤٦- معجم الأدوات النحوية وإعرابها فى القرآن الكريم للسيوطى ص ٢٠٦.

١٤٧- الجنى الدانى للمرادى ص ١٧٢.

١٤٨- المغنى جـ٢ ص٣٦٨.

١٤٩- المغنى جـ٢ ص٣٦٨.

١٥٠- الشورى ٣٣-٣٤.

١٥١- آل عمران ١٤٢.

١٥٢- الانعام ٢٧.

١٥٣- مغنى اللبيب جـ٢ ص٣٥٩.

١٥٤- الأعراف ١٢٣.

١٥٥- الملك ١٥-١٦.

١٥٦- الجنى الدانى ص ١٧٢ ، والمغنى جـ٢ ص٣٦٨.

١٥٧- آمالى ابن الشجرى جـ١ ص٣٠٢.

١٥٨- مغنى اللبيب جـ٢ ، ص ٣٥٨.

١٥٩- البيتان للأسود بن يعفر ـ هامش ابن الشجرى جـ٢ ص١٢١.

١٦٠- البيت لابن مقبل ـ هامش الجنى الدانى ص ١٦٥.

١٦١- الزمر ٧١.

١٦٢- الصافات ١٠٣.

١٦٣- الجنى الدانى ص ١٦٥-١٦٦.

١٦٤- آمالى بن الشجرى جـ٢ ص١٢١-١٢٢.

١٦٥- البيت لابن ذئبة الثقفى ـ شرح أبيات المغنى للبغدادى جـ٦ ص١١٩.

١٦٦- البيت لأبى العيال الهذلى - شرح أبيات المغنى للبغدادى جـ٦ ص ١٢٦ ، المغنى جـ٦ ص٣٦٢.

١٦٧- العدد الثانى عشر ص ١٧٠ وما بعدها.

١٦٨- البقرة.

١٦٩- الحجر ٤.

١٧٠- راجع الكشاف للزمخشرى جـ٢ ص٥٧٠ ، ومغنى اللبيب لابن هشام جـ٢ ص٣٦٤-٣٦٥.

١٦٦- البيت لأبى العيال الهذلى - شرح أبيات المغنى للبغدادى جـ٦ ص ١٢٦ ، المغنى جـ٦ ص٣٦٢.

١٦٧- العدد الثانى عشر ص ١٧٠ وما بعدها.

١٦٨- البقرة.

١٦٩- الحجر ٤.

١٧٠- راجع الكشاف للزمخشرى جـ٢ ص٥٧٠ ، ومغنى اللبيب لابن هشام جـ٢ ص٣٦٤-٣٦٥.